



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ديالى

كلية التربية الإسلامية

قسم العقيدة

مكة المكرمة في الفكر الإسلامي

بحث مقدم

الى قسم العقيدة والفكر الإسلامي

وهو من متطلبات نيل شهادة البكالوريوس في العلوم الإسلامية

مقدم من قبل الطالبة

شهد حسن عبد كريم

بإشراف

م . د . عدنان حسن موسى سلمان

٢٠٢٢م

١٤٤٣هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ (96) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ
مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا
وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (97)

صدق الله العظيم

الإهداء

إلى من بلغ الرسالة وادي الأمانة إلى المعلم الأول نبي الرحمة محمد

(صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين)

إلى شهدائنا الأبرار الذين ختموا حياتهم من أجل وطن يخلوا من شوائب الأديان و
يزهوا

بالعلم والأمان دتم فخر لنا

إلى من علمتني الصبر والجد والاجتهاد في كافة مناحي الحياة

قرة عيني أُمي

إلى من أرسى لدي قواعد الخلق الكريم ، وكيفية كبح زمام النفس

أبي الموقر

، كل معلم وأستاذ ودكتور وقفوا رغم كل الصعوبات بوجه الجهل وأكملوا رسالتهم
التعليمية

الشكر والتقدير

لا بد لنا ونحن نخطو خطواتنا الأخيرة في الحياة الجامعية من وقفة نعود إلى أعوام قضيناها في رحاب الجامعة مع اساتذتنا الكرام الذين قدموا لنا الكثير

بأذنين بذلك جهودا كبيرة في بناء جيل الغد وقبل أن نمضي نقدم أسمى آيات الشكر والامتنان والتقدير الى الذين حملوا أقدس رسالة في الحياة

إلى جميع أساتذتنا الأفاضل وعلى رأسهم :

((السيد العميد المحترم أ . د . عمر الكيلاني)) ...

وأخص بالتقدير والشكر ((م . د . عدنان حسن موسى سلمان))

تفضل بالإشراف على هذا البحث فجزاه الله كل خير فله مني جزيل الشكر

وكذلك أشكر كل من ساعد على إتمام هذا البحث ومد لي يد العون

والمساعدة وزودنا بالمعلومات اللازمة لإتمام هذا البحث .

الذين كانوا عوناً لنا في بحثنا هذا ونورا يضيء الظلمة التي كانت تقف أحيانا في طريقنا

التي كانت تقف أحيانا في طريقنا .

فهرست المحتويات

رقم الصفحة	عنوان الموضوع
أ	الاسم
ب	الآية القرآنية
ت	الاهداء
ث	الشكر والتقدير
١	المقدمة
٢	المبحث الأول
٢	تعريف مكة المكرمة لغة واصطلاحاً
١٥-٣	المبحث الثاني
١٥-٣	اسماء مكة المكرمة
٢٤-١٥	المبحث الثالث
٢٤-١٥	بناء الكعبة المشرفة
٢٥	الخاتمة
٢٧-٢٦	المصادر والمراجع

المقدمة

الحمد لله الذي خلق الخلق وعلم الإنسان ما لم يعلم وشرح من الدين ما فيه فلاح وسعادة في الدنيا والآخرة واشهد ألا إله إلا الله وأن محمد عبده ورسوله (صلى الله عليه واله وسلم)
أما بعد..

فإن الله ختم الشرائع بالشرعية الإسلامية. والتي جاءت كاملة وشاملة في كل جوانب الحياة تنظيم علاقة الانسان بربه ومجالات متعددة، واستحداث المسائل. يتولى استجلاها العلماء وذلك يستدعي تحديد مفهوم مكة المكرمة وبيان أسمائها وبنائها ومن ثم وقع اختياري على موضوع (مكة المكرمة في الفكر الإسلامي)

فاستشرت الأساتذة فشجعوني عليه وارشدوني و استخرت الله تعالى فانشرح صدري لذلك فعزمت على الكتابة فيه مستعينة بالله عز وجل، ومستمدة منه العون والتوفيق والسداد.

أهمية الموضوع وسبب اختياره :

١- مكة هي اقدس مدينة في الاسلام ومسقط راس الرسول وتقع في الحجاز

٢- بيان اسماء مكة المكرمة التي ذكرت في القران الكريم ومعرفة معنى كل اسم .

مشكلة البحث:

بيان مفهوم مكة المكرمة في اللغة والاصطلاح ومعرفة اسماء مكة المكرمة التي ذكرت في القران الكريم ومراحل بناء الكعبة المشرفة.

هيكلية البحث :

يتكون البحث من مقدمة و ثلاث مباحث حيث أن المبحث الأول (تعريف مكة المكرمة لغة واصطلاحاً) والمبحث الثاني (اسماء مكة المكرمة) والمبحث الثالث (بناء الكعبة المشرفة)

مكة المكرمة في الكتاب والسنة وأقوال علماء الأمة

المبحث الأول :- تعريف مكة المكرمة لغة واصطلاحاً:-

مكة لغة: مأخوذة من الملك، ومن الفصيل ما في ضرع أمه يمكه مكا ومكوكاً وامتكه وتمكمه وكمكه: امتص ما فيه من المخ، واسم ذلك الشيء: المكاكة والمكاك، ومكة: قيل سميت بذلك؛ لأنها كانت تملك من ظلم فيها وألحد، أي: تهلكه قال الراجزة

بامكة الفاجر مكي مكا ولا تمكي مذحجاً وعاً (١)

وقيل سميت مكة لاجتذابها الناس من كل أفق، يقال: امتك الفصيل ما في صرع الناقة: إذا اسنصاه، فلم يدع منه شيئاً (٢) وقيل: «لأنها تمكّ ذنوب المؤمنين، أي: تذهب بها». (٣)

مكة اصطلاحاً:-

وتعني الحكم وقال الماوردي(ت: ٤٥٠ هجري) : (اما الحرم فمكة وما طاف بها من نصب حرما) (٤)

مكة المكرمة مدينة إسلامية مقدّسة، عاصمة الحجاز، وهي مسقط رأس الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وفيها المسجد الحرام والكعبة المشرفة، يحج إليها المسلمون كلّ عام، وسُمّيت مكة لأنها تُنقص الذنوب أو تفيها أو تهلك من ظلم فيها زرت البيت الحرام بمكة المكرمة (٥) - {وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ} وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (٦)

١-لسان العرب.ابن منصور ص ٤٩١

٢-التبيان في تفسير غريب القرآن ج ١ ص ١٥١

٣-تحرير الفاظ التنبيه ط١ . ص ١٣٤

٤-الاحكام السلطانية والولايات الدينية ص ٢٣٢

٥-معجم البلدان لياقوت الحموي ج ٥ ص ١٨٢

٦-سورة الفتح ٢٤

المبحث الثاني: أسماء مكة المكرمة

إن الأشياء الشريفة تكثر أسماؤها؛ لكثرة مناقبها وعظمة محاسنها، وانتشار فوائدها ونفعها، قال الإمام النووي: (واعلم أن كثرة الأسماء تدل على عظم المسمى، كما في أسماء الله تعالى وأسماء رسوله، ولا نعلم بلدة أكثر أسماء من مكة والمدينة؛ لكونهما أفضل الأرض). (١)

- الاسم الأول: مكة المكرمة:

ورد هذا الاسم في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ^٣ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا) (٢)، وبطن مكة: الحديبية (٣).

وقد مرت بنا ثلاثة أقوال في معنى "مكة" أرى أنها صحيحة جميعها لكن بعضها مقدم على الآخر، فمكة سميت بهذا الاسم، لأنها تمك ذنوب المؤمنين الذين يقصدونها بالزيارة والتعظيم ويؤدون نسكهم في أرجائها، فتمحق ذنوبهم وتمحو خطاياهم، وتذهب أوزارهم فيعودون أنقياء كقضاء الثوب الأبيض من الدنس، وهذا المعنى مقدم على غيره من كونها تدق أعناق الجابرة، ويؤيد ذلك العقل والنقل.

أما العقل فلان مواضع العبادة إنما وضعت لتكون مواطن رحمة و أماكن تترجى الغفران الذنوب بالدرجة الأولى، وبعد ذلك تأتي مسألة عقوبة من أساء إليها - وهي ثابتة لا شك فيها - ثم إن المسيئين هم الشواذ، ولا يصح أن نتخذ من الشواذ أمرا شائعة فنقدمه على غيره.

وأما النقل فلقول النبي: (من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه). (٤)

١-تهذيب الأسماء والصفات(١٥٧/٣)

٢-سورة الفتح ٢٤

٣-الجامع لأحكام القرآن ط ٥. ج ١٦. ص ١٨٥

٤-صحيح الجامع ص ٥٩٤٣ وصححه البخاري ١٥٢١ و مسلم ١٣٥٠

خلاصة الاسم:-

يختار القرآن الكريم كل لفظة بدقة تامة، ولمعرفة الحكمة من اختيار هذا الاسم في هذا الموضع لا بد أن نعرف أن . سبب نزول هذه الآية هو إن النبي * نزل قبل فتح مكة إلى الحديبية ومعه أصحابه فهاجمهم جماعة من أهل مكة، فأمكن الله الصحابة منهم، فأسروهم ثم من عليهم النبي فأطلقهم، وقد جاءت هذه الآية في سياق عدة آيات تذكر امتنان الله تعالى على المؤمنين بالنصر والتأييد، وقهره سبحانه للكافرين، منها قوله تعالى: (وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وِلِيًّا وَلَا نَصِيرًا)(١)

واختلف العلماء في سبب تسميتها مكة على أقوال عدة:

الأول: سُمِّيَتْ بذلك؛ لأنها تَمُكُّ مَنْ ظَلَمَ فيها، أي: تُهْلِكُه. من قولك: مككت الرجل: إذا رددت نخوته، وتمكُّ الذنوب: أي: تذهب بها كلها.(٢)

الثاني: سُمِّيَتْ بذلك؛ لِقَلَّةِ مائها، قال ابن سيده - رحمه الله -: (مَكُّ الصَّبِيُّ ثَدِيٌّ أُمَّه مَكًّا وَمَكْمَكَةٌ: اسْتَقْصَى مَصَّهُ، وَمِنْ هَذَا اسْتِقَاقُ مَكَّةَ؛ لِقَلَّةِ الْمَاءِ بِهَا؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَمْتَكُّونَ الْمَاءَ، أَيْ: يَسْتَخْرِجُونَهُ).(٣)

الثالث: سُمِّيَتْ بذلك؛ لاجتذابها الناس من الأبعد، من قولهم: تَمَكَّنْتُ الْعَظْمَ: أَخَذْتُ مَا فِيهِ مِنَ الْمُخِّ(٤)

١-سورة الفتح ٢٢

٢-غريب الحديث .الخطابي . (٧٢/٣)

٣-جمهرة اللغة (٩٨٤/٢).. معجم ما استعجم(٢٦٩/١)

٤-الزاهر .للانباري (١٠٦/٢).

- الاسم الثاني: بكة

ويأتي هذا الاسم في الشهرة بعد أسم مكة، وقد ورد في القرآن الكريم مرة واحدة، قال تعالى: (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ) (١) قال الطبري (ت: ٣١٠ هـ -): (يعني: للبيت الذي بمزدحم الناس لطوافهم في حجهم وعمرهم وأصل البك: الزحم، يقال منه: بك فلان فلاناً، إذا زحمه و صدمه فهو بيكيه بكاً، وهم يتباكون، أي: يزدهمون)(٢)

وقيل سميت بكة؛ لأنها نيك أعناق الجبابرة ومن ألد فيها بظلم، أي: تدقها)) (٣)

وقد اختلف العلماء في الفرق بين مكة وبكة من حيث تحديد كل منهما على ثلاثة أقوال:

- الأول: إن بكة هو اسم القرية، وأما مكة فهو منزل يأسفل ذي طوى فيه أبيات (٤)

- الثاني: إن بكة لغة في مكة، كالنييط والشميط (٥)

- الثالث: بكة موضع المسجد، ومكة البلد". وهو الراجح(٦)

١-سورة آل عمران ٩٦

٢-جامع البيان في تأويل القرآن. الطبري. ط ١ ج ٤ ص ٩

٣-الفائق في غريب الحديث . الزمخشري . ط ١ ج ١ ص ١٢٦

٤-معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع. للسكري ط ٣ ج ١ ص ٢٦٩

٥- أنوار التنزيل وأسرار التأويل . البيضاوي . ج ٢ ص ٦٧

٦- معجم البلدان . الحمودي. ط ١ ج ١ ص ٢٤٥

واختلف العلماء في المراد بـ "بكة" على قولين:

الأول: أن مكة وبكة بمعنى واحد، على البذل، وهما اسمان للبلد، والمسمى بهما واحد؛ لأن العرب تبدل الميم بالباء، فنقول: ضَرَبُ لَازِبٍ وِلَازِمٌ؛ لُقْرَبِ المَحْرَجِينَ(١).

الثاني: أن هناك فرقاً بين مكة وبكة، فقيل: إن بكة هي موضع البيت، ومكة هي الحرم كله(٢).
والراجح أن مكة وبكة بمعنى واحد، وهو قول عامة أهل اللغة(٣).

5

واختلف العلماء في سبب تسميتها بـ بكة على قولين:

الأول: سُمِّيَتْ بذلك؛ لآزدحام الناس بها، يقال: بَكَ فلانٌ يُبْكُ بَكَّةً، أي: زَحَمَ، وتبَاكَ القومُ: آزدحموا. والبَكْبَكَةُ: الآزدحام، تَبْكَبَكَ القومُ على الشيء: إذا آزدحموا عليه، وَجَمَعُ بَكْبَاكَ: كثير(٤).

قال الخليل بن أحمد الفراهيدي - رحمه الله: (وسُمِّيَتْ مَكَّةُ بَكَّةً؛ لأنَّ الناسَ يُبْكُ بعضهم بعضاً في الطَّوافِ، أي يدفع بعضهم بعضاً بالآزدحام)(٥). وقال ابن دريد - رحمه الله: (وسُمِّيَتْ مَكَّةُ بَكَّةً؛ لآزدحام الناس بها)(٦). وعن ابن جريج - رحمه الله - أنه كان يقول: (إنَّما سُمِّيَتْ بَكَّةً، لتبَاكَ الناسَ بأقدامهم فُدَّام الكعبة)(٧).

وعن قتادة - رحمه الله - قال: (سُمِّيَتْ مَكَّةُ بَكَّةً؛ لأنَّ اللهَ بَكَ بها الناسَ جميعاً، فيصلِّي النساءُ فُدَّام الرجالِ، ولا يصلح ذلك ببلدٍ غيره)(٨).

الثاني: سُمِّيَتْ بذلك؛ لأنها تَبْكُ أعناقَ الجابرة، أي: تَدُقُّها، وكذلك تضع من نخوة المتكبرين.

قال الخليل بن أحمد - رحمه الله: (ويقال: بل سُمِّيَتْ؛ لأنها كانت تَبْكُ أعناقَ الجابرة إذا أَلحدوا فيها بِظُلْمِ)(٩)، والبَكُّ: دَقُّ العُنُقِ، والبَكْبَكَةُ: شيءٌ تفعُّله العنزُ بولدها، وَبَكَتْ عُنُقَهُ أَبُكَّهُ بَكًّا: إذا وضعتُ منه، وَرَدَدْتُ نَحْوَتَهُ.

١- الكنز اللغوي لابن السكيت ص ١٤ .. جمهرة اللغة (٣٣٥/١)

٢- اخبار مكة الأزرق (٢٨٠/١) ... تفسير الطبري (٥٩٧/٥)

٣- معجم ما استعجم (٢٦٩/١) ... لسان العرب (١٣٣/٢)

٤- مقاييس اللغة لابن فارس (١٨٦/١)

٥- العين (٢٨٥/٥)

٦- جمهرة اللغة (٧٥/١)

٧- اخبار مكة للأزرق (٢٨٠/١)

٨- تفسير الطبري (٩/٤)

٩- العين (٢٨/٥)

الاسم الثالث : ام القرى

وورد هذا الاسم في القرآن الكريم في ثلاث مواضع :-

الاول : قوله تعالى(وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقٌ لِّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۗ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ)(١)

الثاني : قوله تعالى (وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ۗ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ)(٢)

الثالث : قوله تعالى (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجُمُعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ)(٣)

واختلف في سبب تسميتها بأم القرى على ثلاثة أقوال

الأول: سُمِّيَتْ بذلك؛ لأنَّ الأرض دُحِيت من تحتها، لكنه قولٌ يفتقر إلى دليل، وروي فيه حديثان

الحديث الاول : عن ابن سابط؛ أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال (دُحِيتِ الأَرْضُ مِنْ مَكَّةَ، وَكَانَتْ الْمَلَائِكَةُ تَطُوفُ بِالْبَيْتِ)(٤)

الحديث الثاني: عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أَوَّلُ بَقْعَةٍ وُضِعَتْ فِي الأَرْضِ مَوْضِعُ البَيْتِ؛ ثم مُدَّتْ مِنْهَا الأَرْضُ، وَإِنَّ أَوَّلَ جَبَلٍ وُضِعَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَى الأَرْضِ أَبُو قَبَيْسٍ، ثم مُدَّتْ مِنْهُ الجِبَالُ)(٥)

١-سورة الأنعام ٩٢

٢-سورة القصص ٥٩

٣-سورة الشورى ٧

٤-رواه الطبري (١٩٩/١).. ابن أبي حاتم(٧٦/١)

٥-رواه العقيلي . الضعفاء . (٣٤١/٢) . والبيهقي .شعب الايمان (٤٣١/٣)

الثاني: سُمِّيَتْ بذلك؛ لأنَّ أهلَ القرى يتوجَّهون إليها، قال الزركشي - رحمه الله: (لأنَّ أهلَ القرى يرجعون إليها في الدِّين والدنيا؛ حبًّا واعتماداً وجواراً، وقيل: لا يصحُّ نُسكُ أهلِ بلدٍ إلاَّ بقصدها)(١)

الثالث: سُمِّيَتْ بذلك؛ لأنها أعظمُ القرى، وفيها بيتُ الله تعالى. ولمَّا جرت العادة بأنَّ المَلِك وبَلَدَه مُقدِّمان على جميع الأماكن سُمِّيَ أُمًّا؛ لأنَّ الأمَّ متقدِّمة(٢)

قال ابن القيم - رحمه الله: (وممَّا يدل على تفضيلها: أن الله تعالى أخبر أنها أمُّ القرى، فالقرى كلُّها تبعٌ لها، وفرغٌ عليها، وهي أصلُ القرى، فيجب ألا يكون لها في القرى عديل، فهي كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن (الفاحة) أنها أمُّ القرآن، ولهذا لم يكن لها في الكتب الإلهية عديل)(٣)

الاسم الرابع : البلد

تكرر هذا الاسم في القرآن الكريم خمس مرات تراوحت بين التعريف والتكبر فأما ما ورد معروفًا بأل فقوله تعالى (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ) (٤) وقوله تعالى (لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ (1) وَأَنْتَ حَلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ)(٥) وأما ما ورد منكرًا في قوله تعالى (وَتَحْمِلُ أُنْفُسَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالْغَيْهِ إِلَّا يَشِقُّ الْأُنفُسَ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ)(٦) وقوله تعالى (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ)(٧) وقد أجمع المفسرون على أن المراد بالبلد مكة(٨)

١- اعلام المساجد باحكام المساجد ص ٧٩

٢- القرى اقصد ام القرى لمحِب الدين الطبري ص ٦٥١

٣- زاد المعاد (١/٤٩-٥٠)

٤- سورة إبراهيم ٣٥

٥- سورة البلد ١ و ٢

٦- سورة النحل ٧

٧- سورة البقرة ١٢٦

٨- القرطبي (٢٠/٤٠)

وقال ابن منظور: (البلد: جنس المكان كالعراق والشام... والبلد: مكة تفخيمة لها كالنجم للثريا والعود للمندل)(١) وقال المناوي : (البلد المكان المحدود والمتأثر باجتماع قطانه وإقامتهم فيه، وسميت المفازة بلدة؛ لكونها من موضع الوحش. والمقبرة بلداً لكونها موطناً للاموات. وأبلد الرجل : إذا صار ذا بلد)(٢)

حكمة الاسم

أولاً: اختيار الاسم: الملاحظ أن سيدنا إبراهيم (ع) دعا لمكة أن تكون بلدة مأهولا بالناس، وأرى أن السبب وراء ذلك هو عطف سيدنا إبراهيم ورحمته بزوجه هاجر وولدها إسماعيل ؛ لأنه تركهما بعد بنائه للبيت، فدعا الله أن يكون ذلك البيت وما حوله مقطونا من الناس كي يؤانسوهما ثم لم يكتف بذلك بل طلب من الله لمكة أعظم منحة يمكن أن تمنح لكل بلد وهي الأمان.

ثانياً: التعريف والتكثير: ورد اسم "البلد" معرفاً بال في سورة إبراهيم في حين

ورد منكراً في سورة البقرة، وقد بين الشوكاني الفرق بينهما فقال:

والفرق بين ما هنا وما هنالك أن المطلوب هنا مجرد الأمان، والمطلوب هنالك البلدية

والأمان)(٣)

أي إن المطلوب في سورة إبراهيم بقوله "بلداً آمناً البلدية والأمان، والمطلوب في سورة البقرة بقوله (هذا البلد آمناً) مجرد الأمان

١-لسان العرب . مادة (بلد) . (٩٤/٣)

٢-المناوي . محمد عبد الرؤوف . التوقيات على مهمات التعاريف ط١ . ص ١٤٤

٣-الشوكاني . محمد بن علي . فتح القدير الجامع بين فن الرواية والدراية . ج ٣ . ص

الاسم السادس : البلد الأمين

ورد ذِكْرُهُ مَرَّةً واحدة في القرآن، في قوله تعالى: ﴿ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴾ (١) أي: (وهذا البلد الأمين من أعدائه أن يحاربوا أهله، أو يغزوهم) (٢) وقيل: (يأمن فيه الناس في الجاهلية والإسلام) (٣) وبإجماع المفسرين فإنَّ البلد الأمين هنا هو: مكة المكرمة (٤) وهذا قَسَمٌ من الله تعالى يدل على شرف مكة وعظيم مكانتها.

حيث أن مكة هي البلد الأمين، الذي شَرَّفَهُ اللهُ تعالى، وعظَّمَهُ، وخصَّه بالقَسَمِ، وبدعاء الخليل - عليه السلام: ﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ ﴾ (٥)

كما وُصِفَ بالأمن في قوله تعالى: ﴿ أَوْلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجَبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا ﴾ (٦)؛ وقوله تعالى: ﴿ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ (٧). يعني: ذا أمن (٨). (والأمن أكبر شروط حُسن المكان؛ لأنَّ السَّاكن أول ما يتطلَّب الأمن، وهو السَّلَامَةُ من المكاره والمخاوف، فإذا كان آمناً في منزله، كان مُطمئنُّ البال، شاعراً بالنعيم الذي يناله) (٩)

ونعمة الأمن من أعظم النِّعم التي يُمُنُّ بها اللهُ تعالى على عباده، فمع وجود الأمن تنشأ الحضارات وتنهض المجتمعات وتتقدَّم الأمم، وكان من توفيق الله تعالى لنبيِّه إبراهيم - عليه السلام - أن نبَّهه إلى أهميَّة الأمن، فهده إلى هذا الدُّعاء العظيم ابتداءً وانتهاءً؛ ابتداءً بقوله: ﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا ﴾ (١٠). وذلك قبل أن يكون هناك بلدٌ من الأساس، فجعل الأمن أساساً لبناء هذا البلد وشرطاً لوجوده، وانتهاءً بقوله: ﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا ﴾ (١١). طالباً من الله تعالى أن يُديم عليه نعمة الأمن.

وقد استجاب الله تعالى لدعائه، فَمَنَحَ البلدَ الحرام نعمةَ الأمن، ولِعَظَمِ هذه النِّعمة ذَكَرَهَا اللهُ سبحانه في أكثر من آية من القرآن العظيم مُدَكِّراً أهلها ومُمنِّناً عليهم بها.

- ١-سورة التين ٣
- ٢-تفسير الطبري (٢٤١/٣٠)
- ٣-تفسير اللغوي (٥٠٤/٤)
- ٤-تفسير الطبري (٢٤٢/٣٠)
- ٥-سورة البقرة ١٢٦
- ٦-سورة القصص ٥٧
- ٧-سورة العنكبوت ٦٧
- ٨-التفسير الكبير (١١/٣٢)
- ٩-التحرير والتنوين لابن عاشور (٢٣١/٧)
- ١٠-سورة البقرة ١٢٦
- ١١-سورة إبراهيم ٣٥

حكمة الاسم

قال بعض الأئمة: (هذه محال ثلاثة بعث الله في كل واحدة منها نبيا مرسلا من أولي العزم أصحاب الشرائع الكبار، فالأول محلة التين والزيتون وهي بيت المقدس التي بعث الله فيها عيسى ابن مريم ، والثاني طور سينين: وهو طور سيناء الذي كلم الله عليه موسى بن عمران الله ، والثالث مكة وهو البلد الأمين الذي من دخله كان آمنا، وهو الذي أرسل فيه محمدا ، قالوا: في آخر التوراة ذكر هذه الأماكن الثلاثة" جاء الله من طور سيناء" يعني الذي كلم الله عليه موسى بن عمران، "وأشرق من ساعير" يعني جبل بيت المقدس الذي بعث منه عيسى، "واستعلن من جبل فاران يعني جبال مكة التي أرسل الله منها محمدا ، فذكرهم مخبرا عنهم على الترتيب الوجودي بحسب ترتيبهم في الزمان ولذلك أقسم بالأشرف ثم الأشرف منه، ثم بالأشرف منهما). (١)

الاسم السادس : البلدة (٢)

ذكر القرآن الكريم هذا الاسم في موضع واحد وهو قوله تعالى (إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ طُورًا وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ) (٣) وهذا الاسم يتفق مع الاسم الرابع من حيث الاشتقاق وبيانية من حيث الصيغة فالبلد بصيغة المذكر والبلدة بصيغة المؤنث وقد بين علماء اللغة الفرق بينهما، قال ابن منظور: «البلدة والبلد: كل موضع أو قطعة مستحيزة عامرة كانت أو غير عامرة... والبلد: جنس المكان كالعراق والشام، والبلدة الجزء المخصص منه كالبصرة ودمشق)).

حكمة الاسم ولما كانت البلدة أخص من البلد فقد ظهر لي أن الحكمة من اختيار هذا الاسم في هذا الموضع ترجع لأمر

١- ابن كثير . ابو الفداء . اسماعيل بن عمر . تفسير القرآن العظيم. ج ٤ ص ٥٢٧-٥٢٨

٢- لسان العرب (مادة البلد) ٩٣/٣

٣- سورة النمل

(- أولها: أن المقصود هو الجزء المخصص بالتحريم، لامكة كلها يؤيده قوله سبحانه: (الذي حرما)

- ثانيها: إن هذه الآية وردت في معرض الدعوة إلى الله من خلال آيات الترغيب والترهيب، منها قوله سبحانه: (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُمْ مِّنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ * وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (١)، فليس السياق هاهنا منصبة على تعظيم مكة، وإنما المراد هنا لفت أنظار الناس إلى أن الله تعالى هو من حرما، ولولا ذلك لكانت بلدة كسائر البلدات ولذلك فإنه سبحانه أحق أن يعبد وحده، ولا يحق لمن يسكن بجوار حرمة فيأمن بذلك الجوار أن يعيد سواء، ولا أن يغتر بخدمة البيت وقاصديه ويترك الإيمان برب البيت الذي وهب مكة تلك الحرمة .

- ثالثها: إنه أنث الاسم، لأن العرب إذا أرادت نسبة شيء إلى القوة والمنعة ذكرته وإن كان مؤنث، وإن أرادت نسبته إلى نوع من الضعف والحاجة أنثته وإن كان مذكرة، والآية منصبة على تعظيم الله، لاتعظيم مكة، وكأنه يشير بذلك أن هذه البلدة لم تحرم لذاتها وإنما لما منحها الله، فهي من مخلوقاته التي تلوذ به وهي مفتقرة إليه) (٢)

- الاسم السابع: الحرم الآمن

وهذا الاسم وإن كان إلى الوصف أقرب إلا أنه عد من أسماء مكة (٣) وقد ورد في القرآن الكريم مرتين، قال تعالى: (أَوْلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ تَمْرَاتٌ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّنْ لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) (٤)، وقال تعالى: (أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ؕ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ) (٥) وقال البيضاوي: (أولم يروا: يعني أهل مكة، أنا جعلنا حرما آمنا؛ أي: جعلنا بلدهم مصونا عن النهب والتعدي، آمنا أهله عن القتل والسبي، ويتخطف الناس من حولهم يختلسون قتلا وسبية، إذ كانت العرب حوله في تغاور وتناهب) (٦)

١-سورة النمل ٨٩-٩٠

٢-لسان العرب ، مادة (البلد) ٩٠/٣

٣-تاريخ مكة المكرمة قديما وحديثاً . د محمد إلياس عبد الغني . ص ١٣

٤-سورة القصص ٥٧

٥-سورة العنكبوت ٦٧

٦-البيضاوي تفسير ٣٢٤/٤

- الاسم الثامن: معاد

وأخذ هذا الاسم من قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۗ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) (١) قال القرطبي عن هذه الآية: (ختم السورة ببشارة نبيه محمد و برده إلى مكة قاهرة لأعدائه.. قال الفتيبي: معاد الرجل: بلده؛ لأنه ينصرف ثم يعود)(٢) وعن ابن عباس (رضي الله عنهما): (لرادك إلى معاد، قال: إلى مكة)(٣).

- الاسم التاسع: القرية

ورد ذكر القرية" في القرآن الكريم بمعنى مكة المكرمة أربع مرات، قال تعالى: (وَكَايْنٍ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْتِكَ أَهْلُكِنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ)(٤) ووصف سبحانه حال المستضعفين فيها فقال: { وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا)(٥)

كما ذكر الله سبحانه وتعالى عقوبته لهم فقال : (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ)(٦) وذكر محاجة المشركين فقال (وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ) والقريتان: مكة والطائف(٧).

١-سورة القصص ٨٥

٢-تفسير القرطبي . ٢١٢/١٣

٣-البخاري . الصحيح . ١٧٩٠/٤ . رقم ٤٤٩٥

٤-سورة محمد ١٣

٥-سورة النساء ٧٥

٦-سورة النحل ١١

٧-سورة الزغرف ٣١

- الاسم العاشر: المسجد الحرام

وقد تردد هذا الاسم في القرآن الكريم كثيراً فأريد به حينة مكة المكرمة كلها، وقصد به أحيانا آخر المسجد بالتحديد، ولاختلاف المفسرين في تحديد المراد به في بعض تلك الآيات، فإنه يصعب تحديد عدد المرات التي ورد فيها لفظ المسجد وأريد به مكة. وليس ذلك الخلاف بأمر ذي بال سوى أنه يثبت إطلاق لفظ المسجد الحرام على مكة وهو المقصود، فمنها قوله تعالى: (ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) (١)، قال الشيخ عبد الكريم المدرس: (وحاضروه من كان مسكنه بمكة المكرمة، أو بالحرم، أو بأرض تكون على مسافة القصر، أو أقل منها لا أزيد) (٢) .

ومنها قوله تعالى: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى) (٣) وكلمة "حرام" مشتقة من "حرم"، والحرم بفتح الحين من (حرم الشيء حزماً وحراماً، أي: امتنع فعله ومنه الحرام بمعنى الممنوع، والحرمة ما لا يحل انتهاكه، وأيضا المهابة، وهي اسم بمعنى الاحترام، والجمع حرمان) (٤)

١-سورة البقرة ١٩٦

٢-مواهب الرحمن في تفسير القرآن ط ١ . ج ١ . ص ٣٤٨

٣-سورة الإسراء ١

٤- الفيروز أيادي. القاموس المحيط : مادة (حرم) ٢٥٠

- الاسم الحادي عشر: مخرج الصدق

مخرج الصدق وهو المشار إليه بقوله تعالى: (وَفُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا) (١)، قال البروسوي: (فالمدخل والمخرج: مصدران بمعنى الإدخال والإخراج، والإضافة إلى الصدق لأجل المبالغة نحو حاتم الجود، أي: إدخالاً يستأهل أن يسمى إدخالاً ولا يرى فيه ما يكره؛ لأنه في مقابلة مدخل سوء ومخرج سوء، وقيل، المراد إدخال المدينة والإخراج من مكة) (٢) .

- الاسم الثاني عشر: واد غير ذي زرع

حكى لنا القرآن الكريم دعاء سيدنا إبراهيم اظه لمكة وأهلها في قوله سبحانه: رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (٣)، قال البيضاوي: (بواد غير ذي زرع: يعني وادي مكة، فإنها حجرية لا تنبت) (٤) .

١-سورة الإسراء ٨٠

٢-البرموسي تفسيره ١٩٣/٥

٣-سورة إبراهيم ٣٧

٤- البيضاوي تفسير : ٣

المبحث الثالث:- بناء الكعبة المشرفة

أولاً: بناء سيدنا إبراهيم ودعوته الكريمة :-

يعد بناء سيدنا إبراهيم الله للكعبة الشريفة المرحلة الأولى لتأسيس مكة المكرمة قد ذكر القرآن الكريم ذلك البناء، قال تعالى: (إِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (١) ، فلما أمر الله تعالى نبيه إبراهيم الغه أن يخرج من الشام إلى موضع البيت الحرام بإسماعيل وأمه هاجر - وكان سيدنا إسماعيل آنذاك طفلاً - خرج معه سيدنا جبريل يدلّه على موضع البيت ومعالم الحرم، فلما بلغها وكانت آنذاك عضاء (٢) . من سلم وسمر (٣) وبها ناس يقال لهم العماليق خارج من مكة فيما حولها والبيت يومئذ حمراء مدرة(٤).

فقال سيدنا إبراهيم الله لسيدنا جبريل له: أهاننا أمرت أن أضعهما(٥) ؟ قال: نعم، فأنزلهما سيدنا إبراهيم ال في موضع الحجر، ثم انصرف إلى الشام".(٦)

فلما أمره الله تعالى أن يبني البيت جاء إلى إسماعيل فوجده يبني نب" قريبة من زمزم فلما رآه قام إليه، فصنعا كما يصنع الوالد بولده والولد بوالده، ثم قال سيدنا إبراهيم : يا إسماعيل إن الله و قد أمرني بأمر، قال: فأطع ربك فيما أمرك، قال: وتعينني؟ قال: وأعينك، قال: فإن الله تعالى قد أمرني أن أبني له بيتا هاهنا، فعند ذلك رفع إبراهيم القواعد من البيت، فكشف عن الأساس الذي وضعه بنو آدم، ثم شرع يبني وإسماعيل يناوله، فلما بلغ موضع الحجر قال لإسماعيل: اذهب فالتمس حجرا أضعه هاهنا ليهدي الناس به، فذهب إسماعيل، وجاء جبريل بالحجر الأسود، فلما رجع إسماعيل قال لأبيه: من أين لك هذا الحجر؟ قال: من عند من لم يتكل على بنائي وبنائك(٧).

١-سورة البقرة اية ١٢٧

٢-العضاء . شكر له شوك . ابن منظور. لسان العرب مادة (عضة) ٥١٦/١٣

٣-السلم . نوع من العضاء . ابن منظور. لسان العرب . مادة (سلم) ٢٩٦/١٢

٤-المدر: قطع الطين اليابس. ابن منظور .لسان العرب . مادة (مدر) ١٦٢/٥

٥-اي سيدنا اسماعيل والسيدة هاجر (عليهم السلام)

٦-اخبار مكة وما جاء فيها من الآثار. الأزرقى . ابو الوليد محمد بن عبدالله بن احمد .ج ١- ص ٤٥-٥٦

٧-الأزرقى. اخبار مكة : ٥٨/١-٦٢

(وأما صفة بنائها فقد بناها سيدنا إبراهيم اغه بحجارة بعضها فوق بعض من غير طين وجص، وحفر في باطنها على يمين من دخلها حفرة عميقة كالبر يلقى فيها ما يهدى إليها تكون خزانة لها، وكان عمقها ثلاثة أذرع، ولم يجعل للكعبة سقفا ولا بابا من خشب أو غيره، وإنما ترك لمكان الباب فتحة في جدارها الشرقي للدلالة على وجه البيت، وقد جعل لها ركنين فقط: الركن الأسود، والركن اليماني، ولم يجعل لها أركاناً من جهة الحجر بل جعلها مدورة على هيئة نصف دائرة كجدار الحجر، وقد كان بناء سيدنا إبراهيم للكعبة من خمسة جبال: من طور سينا، وطور زيتاء، ولبنان والجودي، وحراء، وكانت الملائكة تأتيه بالحجارة من تلك الجبال، وجعل الحجر إلى جنبها عريشا من أراك تقتحمه غنم إسماعيل ، فكان زرباً لغنمه وجعل الباب لاصقة بالأرض وغير مبوب، وجعل ارتفاعه من الأرض في السماء تسعة أذرع، وجعل عرض جدار وجهها الذي فيه إثنين وثلاثين ذراعاً، وعرض الجدار المقابل له واحداً وثلاثين ذراعاً، وعرض الجدار المقابل له عشرين ذراعاً.) (١)

وأما مقام إبراهيم القه فإنه لما كان سيدنا إبراهيم يبني البيت ارتفع البنيان وشق عليه تناوله، فقرب إليه سيدنا إسماعيل هذا الحجر فكان يقوم عليه ويبني ويحوله في نواحي البيت، فأراد الله أن يجعله آية فبقي أثر قدمي سيدنا إبراهيم فيه (٢)

أول بيت

وقد حاز المسجد الحرام فضل السبق والأولية، قال تعالى (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ) (٣) وللمفسرين عدة أقوال في المراد بقوله " أول بيت " نقلها الطبري، منها قول مجاهد : (إن أول ما خلق الله الكعبة ثم دحا الأرض من تحتها) (٤)، في حين قال السدي: (أما

١- اخبار مكة . الازرقى . ٦٣/١-٦٤.... في رحاب البيت الحرام . المالكي . محمد بن علوي . ص ١٣-١٥

٢- اخبار مكة . الازرقى ٣٦-٣٣/٢

٣- سورة آل عمران ٩٦

٤- الطبري . تفسير : ٨/٤ .

أول بيت، فإنه يوم كانت الأرض ماء وكانت زبدة على الأرض فلما خلق الله الأرض خلق البيت معها، فهو أول بيت وضع في الأرض(١) وفي رواية عن مجاهد وقتادة: (لم يوضع قبله بيت) (٢) ثم قال الطبري: (والصواب من ذلك ما قال جل ثناؤه فيه إن أول بيت مبارك وهدى وضع للناس للذي ببكة، ومعنى ذلك: إن أول بيت وضع للناس، أي: لعبادة الله فيه مبارك وهدى: يعني بذلك ومابا لنسك الناسكين وطواف الطائفين تعظيما لله وإجلالا له، للذي ببكة) (٣)

قلت: إن أريد بقوله "أول بيت" موضع البيت، أي: أرض مكة، فهي أول موضع من الأرض خلقه الله كما مر في شرح معنى اسم أم القرى"، وإن أريد بالبيت "الكعبة" فيكون المعنى حينئذ أول بيت وضع لعبادة الله .

الآيات البيئات

ومما أثني به سبحانه وتعالى على بيته قوله: وَفِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَاللَّهُ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتِطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ" (٤) قال الطبري: (فيه علامات من قدرة الله و آثار خليله إبراهيم، منهن أثر قدم خليله إبراهيم في الحجر الذي قام عليه) (٥)، وقال ابن كثير: ("آيات بينات"، أي: دلالات ظاهرة أنه من بناء إبراهيم، وأن الله عظمة وشرقه) (٦) وذكر الطبري ثلاثة أقوال في معنى الآيات البيئات، منها:

أ- أنها مقام إبراهيم والمشعر الحرام.

ب - مقام إبراهيم، قوله تعالى (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) (٧)

ج - مقام إبراهيم وحده.

١-الطبري . تفسير ٨/٤

٢-القرطبي. تفسير ٨٩/٤

٣-الطبري . تفسير ٨/٤

٤-سورة آل عمران ٩٧

٥-الطبري . تفسير ١١/٤

٦-ابن كثير تفسير ١٣٥/٤

٧-سورة البقرة ١٢٥

ثم رجح أن المقام هو أحد تلك الآيات مجتمعة، وأن منها الحجر والحطيم). (١) قلت: وموضع قدمي سيدنا إبراهيم ال هو مقام إبراهيم لكننا نستطيع القول أن البيت كله مقام؛ لأن سيدنا إبراهيم عندما ارتقى ذلك الحجر ليتم بناء البيت فإن الحجر دار به حول البيت ليتمها جميعا، أي: قام عليه في جهات البيت جميعا، ثم استقر في موضعه الأخير.

ثم إن الآيات البيئات كثيرة فمنها مقام إبراهيم، ومنها الحجر الأسود، ومنها الركن اليماني، والملتمزم، والمستجار، والحجر، والميزاب، إذ هي مواطن للمغفرة، ومن دعا فيها وجد من الله الإجابة واضحة بيينة.

ويبدو أن المقام خص بالذكر؛ لأنه آية عظيمة انطوت على عدة آيات ذكرها العلماء، هي (٢)

1- أثر القدمين الشريفتين في الصخرة آية.

٢ - وغوصهما فيها إلى الكعبين، آية.

٣- وإلانه هذا النوع دون بعض، آية.

4 - وارتفاع المقام لإبراهيم الخليل في السماء حين ارتفع بالبناء آية، وكذلك حين علاه للأذان بالحج حتى كان كأطول جبل.

و - وإبقاؤه على مر الزمان آية¹⁸.

: - وحفظه ألوف السنين من الأعداء مع كثرتهم وشدة عدائهم، آية.

٧ - المقام معجزة إبراهيم الف ودليل على نبوته، آية.

٨- أنه لا تخلو لحظة من اللحظات من قائم و راعع وساجد خلف المقام، آية.

قلت: ومنها أن من نظر إليه بعين البصيرة أصابه شيء من نوره، وذلك من بركة قدمي سيدنا إبراهيم

١- الطبري . تفسير ٨/٤ .

٢- سائد بكداش. فضل الحجر الأسود ومقام إبراهيم. ط٦ . ص ١٤٧-١٤٩

- ثانيا: دعوات سيدنا إبراهيم

ذكر لنا القرآن الكريم أن سيدنا إبراهيم دعا لمكة عدة دعوات، وقد ظهرت إجابتها كلها فيما بعد على أرض مكة المكرمة، وأهمها:

1- أن تكون بلدا آمنا وحراما: لقد ألهم الله تعالى أنبياءه كل ما يصلح البلاد والعباد، ولما كانت منحة الأمن أعظم مزية يمنحها الله، ولا تنهض البلدان إلا بها، ولا تتيسر معاشها إلا في أفيائها، فقد كانت أول دعوة دعا بها سيدنا إبراهيم الفت لمكة وأهلها بقوله: (رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا ..) (١) قال الشوكاني: والمراد بالبلد هنا: مكة، دعا إبراهيم ربه أن يجعله آمنا، أي: ذا أمن، وقدم طلب الأمن على سائر المطالب المذكورة بعده، لأنه إذا انتفى الأمن لم يفرغ الإنسان لشيء من أمور الدين والدنيا) (٢) وقد اختلف العلماء في مكة هل صارت حرما آمنا بسؤال إبراهيم أو كانت قبله كذلك على قولين (٣)

أحدهما: أنها لم تنزل حرمة من الجبابة المسلطين، ومن الخسوف والزلازل وسائر المثالث التي تحل بالبلاد، وجعل في النفوس المتمردة من تعظيمها والهيبة لها ما صار به أهلها متميزين بالأمن من غيرهم من أهل القرى، ولقد جعل فيها سبحانه من العلامة العظيمة على توحيدة ما شوهد من أمر الصيد فيها، فيجتمع فيها الكلب والصيد، فلا الكلب الصيد، ولا ينفر منه، حتى إذا خرجا من الحرم عدا الكلب عليه وعاد إلى النفور والهرب (٤)

والثاني: إن مكة كانت حلالا قبل دعوة إبراهيم كسائر البلاد وإن بدعوته صارت حرما آمنا، كما صارت المدينة بتحريم رسول الله أمنا بعد أن كانت حلالا.

احتج أهل المقالة الأولى بحديث ابن عباس (رضي الله عنهما قال، قال رسول مكة: «إن هذا البلد حرمة الله تعالى يوم خلق السماوات والأرض فهو حرام بحرمة الله تعالى إلى يوم القيامة، وإنه لم يحل فيه القتال لأحد قبلي، ولم يحل لي إلا ساعة من نهار، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، لا يعضد شوكة ولا ينفر صيده، ولا تلتقط لقطته إلا من عرفها ولا يختلي خلاها، فقال العباس به با رسول الله إلا الأذخر فإنه لقينهم وبيوتهم، فقال إلا الأذخر» (٥)

١- سورة إبراهيم ٣٥

٢- المناوي . فتح القدير ٨١/٣

٣- هؤلاء قولان وتوجيه كل منهما . القرطبي . ٨٠/٢ - ٨١

٤- الجصاص . احمد بن علي الرازي . احكام القرآن . ج ١ . ص ٩١

٥- البخاري : الصحيح ١٦/٢ رقم ١٧٣٦ و مسلم : الصحيح ٩٦٨/٢

قال ابن عطية: (ولا تعارض بين الحديثين، لأن الأول إخبار بسابق علم الله فيها وقضائه، وكون الحرمة عدة آدم وأوقات عمارة القطر بإيمان. والثاني: أخبار بتجديد إبراهيم لحرمتها وإظهار ذلك بعد الدثور، وكان القول الأول من النبي ثاني يوم الفتح إخبارا بتعظيم حرمة مكة على المؤمنين بإسناد التحريم إلى الله تعالى، وذكر إبراهيم عند ذكر المدينة مثالا لنفسه ولا محالة أن تحريم المدينة هو أيضا من قبل الله تعالى ومن نافذ فضائه و مسابق علمه) (١) ، وقال الطبري: (كانت مكة حراما فلم يتعبد الله الخلق بذلك حتى سأله إبراهيم فحرمها) (٢) .

٢ - أن تصبح مهوى الأفتدة: ولما رأى سيدنا إبراهيم الله الرحمات التي تنزل على مكة وكان حريصا على أن لا يفوت المؤمنين ذلك الخير دعا ربه بقوله: (فَأَجْعَلْ أَفْتِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ) (٣) قال ابن عباس ومجاهد: «لو قال "أفتدة الناس"؛ لآزحمت عليه فارس والروم والترك والهند واليهود والنصارى والمجوس، ولكن قال من الناس فهم المسلمون، فقوله تهوي إليهم"، أي: تحن إليهم وتحن إلى زيارة البيت) (٤) وقال البروسوي: (تسرع إليهم شوقا، وتطير نحوهم محبة) (٥)، وقال الشيخ حسين محمد مخلوف: (تسرع إليهم شوقا وودادا، يقال: هوى يهوي هوية: إذا أسرع في السير، أو تريدهم، كما تقول: رأيت فلان يهوي نحوك، أي: يريدك) (٦)

١- القرطبي تفسير : ٨١/٢... المقدسي . ابو عبد الله محمد بن مفلح . ط ١ . ج ٣ . ص ٣٤٩ .

٢- الطبري : تفسير ٥٤٣/١

٣-سورة إبراهيم ٣٧

٤- القرطبي : تفسير ٢٤٥/٩

٥- البروسوي . روح البيان . ٤٢٧/٤

٦- حسنين محمد مخلوف . صفوة البيان لمعاني القرآن . ط ٣ . ص ٣٣١

3 - أن تجبى إليها الثمرات : كانت مكة المكرمة عبارة عن واد غير ذي زرع فدعا لها سيدنا إبراهيم ، بقوله: (وَارزُقَهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ) (١) قال البروسوي: (من أنواعها بأن يجعل بقرب منه فرى يحصل فيها ذلك، أو يجبي إليه من الأقطار البعيدة وقد حصل كلاهما حتى إنه يجتمع فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد) (٢) وقال الشيخ عبد الكريم المدرسة من المرات التي تجلب إليها من النقود المعدنية: الذهب والفضة والأقوات والأدهان والألبسة والفرش والمواعين وسائر الأشياء المحببة للناس) (٣)

4- أن يبعث فيها نبي التركية والحكمة : بعد أن أتم سيدنا إبراهيم الله دعواته الأهل مكة جعل ختامها مسكة حين دعا أن تكون مكة مبعث نبي عظيم يجمع لها بين خيري الدنيا والآخرة، فيصلح ظواهر أهلها كما يزكي بواطنهم - إن أطاعوه - فقال: (رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۗ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (٤) قال البروسوي: ("فيهم"، أي: في جماعة الأمة المسلمة من أولادنا، "رسولا منهم"، أي: من أنفسهم، فإن البعث فيهم لا يستلزم البعث منهم، فهو الذي أجيب به دعوتها، روي أنه قيل له: قد استجيب لك وهو في آخر الزمان) (٥) ، وقال الشوكاني: (وقد أجاب الله لإبراهيم ال هذه الدعوة فبعث في ذريته رسولا منهم وهو محمد) (٦)

وقد ذكر رسول الله بأنه هو المشار إليه بدعوة سيدنا إبراهيم الله ، عن العرباض بن سارية قال، قال رسول الله : إني عند الله لخاتم النبيين وان آدم لمنجدل في طينته، وسأنبئكم بأول ذلك: أنا دعوة أبي إبراهيم... (٧)

-
- ١-سورة سورة إبراهيم ٣٧
 - ٢-البروسوي. روح البيان. ٤٢٧/٤
 - ٣-المدرس . تفسير : ج ١٠/٦٣
 - ٤-سورة البقرة ١٢٩
 - ٥-البروسوي تفسير : ٢٣٤/١
 - ٦-الشوكاني . تفسير : ١٤٤/١
 - ٧-ابن حنبل . المسند : ج ٤/ص ١٢٧ والبخاري .محمد بن إسماعيل . التاريخ الكبير . ج ٦/ص ٨٦

بناء قريش للكعبة قبيل الإسلام

بقيت الكعبة على حالها إلى أن أعيد بناؤها على يد قريش في الجاهلية، وذلك بعد عام الفيل بحوالي ثلاثين عاماً (١) إذ حدث حريق كبير بالكعبة، نتج عن محاولة امرأة من قريش تبخير الكعبة فاشتعلت النار وضعف البناء، ثم جاء سيل حطم أجزاء الكعبة، فأعدت قريش بناءها، واتفقوا أن لا يُدخلوا في بنائها إلا مالا طيباً فقصرت بهم النفقة فأخرجوا من جهة الحجر ثلاثة أمتار؛ ومن مميزات بنائهم أنهم رفعوا الباب من مستوى المطاف ليُدخل الكعبة من أرادوه وسدوا الباب الخلفي المقابل لهذا الباب وسقفوا الكعبة وجعلوا لها ميزاباً يسكب مياه الأمطار في الحطيم، ورفعوا بناء الكعبة 8.64 متر بعد أن كان 4.32 متر، وقد حضره النبي محمد، وكان يبلغ من العمر حينها 35 سنة وشارك بنفسه الشريفة أعمامه في العمل، ولما أرادت قريش في هذا البناء أن ترفع الحجر الأسود لتضعه في مكانه اختصمت بطون قريش فيما بينها، حتى كادت تقع بينهم الحرب، ثم اصطلحوا على أن يحكم بينهم أول رجل يخرج عليهم من هذه السكة، فكان رسول الله أول من خرج ففضى بينهم أن يجعلوا الحجر الأسود في مرط (أي كساء) ثم يرفعه زعماء القبائل فرفعه ثم ارتقى محمد فوضعه بيده الشريفة مكانه، فحل بذلك المشكلة التي كادت تسبب حروباً بين قبائل قريش. ويجب أن نشير أيضاً أن قصي بن كلاب وهو أحد أجداد الرسول محمد أول من سقف الكعبة، حيث قام بسقفها بخشب الدوم وجريد النخيل، وذلك قبل بناء قريش للكعبة بزمن طويل. (٢)

بناء عبد الله بن الزبير

وفي عهد عبد الله بن الزبير أعيد بناء الكعبة بعدما أصابها من الحريق الذي شب في الكعبة بعدما رميت بالمنجنيق، أثناء حصار يزيد بن معاوية لمكة في نزاعه مع عبد الله بن الزبير، وسبب الحصار هو أن عبد الله بن الزبير رفض مبايعة يزيد بن معاوية وثار الزبيريون معه في المدينة فأرسل يزيد جيشاً إلى المدينة بقيادة مسلم بن عقبة، ودخلها ثم اتجه إلى مكة ولكنه توفي قبل أن يصل إليها، (٣) فخلفه في قيادة الجيش الحصين بن النمير الذي حاصر مكة لفترة،

١-الروض الانف، السهيلي ج ١ ص ٢٢١

٢-سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، محمد بن يوسف الصالحي ج ١ ص ١٩٢

٣-مروج الذهب المسعودي ج ٢ ص ٢٩٥

وبالفعل استطاع الحصين أن يسيطر على جبل أبي قبيس وجبل قعيقعان، ثم أخذ يرمي الزبير وأتباعه الذين كانوا متحصنين داخل المسجد بالمنجنيق فأصيب المسجد، ولم يكتف الحصين بذلك بل رمى المسجد بالنار فاحترقت الكعبة، وضعف بنائها، ولكن الحصين عاد إلى الشام بعد أن توفي يزيد (١)

بعد مبايعة عبد الله بن الزبير خليفة على المسلمين سنة 64 هـ كان أمامه أمران: إما أن يرمم الكعبة أو أن يهدمها ثم يعيد بنائها، فقرر هدم الكعبة وإعادة بنائها على قواعد النبي إبراهيم، لما كان قد سمع من خالته عائشة أم المؤمنين حديثاً يقول فيه النبي محمد أن قريش نقصوا من بناء الكعبة لأن أموالهم قصرت بهم وأنه لولا حادثة قريش بالإسلام لأعاد بنائها وجعل لها بابين ليدخل الناس من أحدهما ويخرجوا من الآخر. فأعاد عبد الله بناء الكعبة على هذا النحو وزاد في بنائها لتكون على قواعد البناء القديم في عهد إبراهيم وجعل لها بابين على مستوى الأرض. وكان ارتفاعها سبعة وعشرون ذراعاً و عرض جدرانها ذراعين كما جعل لها بابين (شرقي للدخول وغربي للخروج)، كما قام ابن الزبير بتوسعة المسجد الحرام، وقد تمت هذه التوسعة في السنة الخامسة والستين هجرية، وضاعفت من مساحة المسجد وبلغت مساحته عشرة آلاف متر مربع. (٢)

١-صحيح وضعيف تاريخ الطبري،الصحيح ج٤ ص٨١ وحلية الاولياء وطبقات الاصفياء ج١ ص٣٣١
٢-اخبار مكة ج١ ص١٩٩

الخاتمة

وفي الختام نحمد الله ونشكره لأن وفقنا إلى القيام بإعداد هذا البحث والذي يحتوي الكثير من النقاط وأبرزها:-

١- مكة المكرمة بلد الله الحرام، ومولد سيد الأنعام عليه أفضل الصلاة وأتم السلام محط تنزل رحمة الله، وحرمة الخليل إبراهيم الأواه، وإسماعيل وأبيه هاجر وإليها تهفو القلوب وترنو المحاجر، وعذب قصدها في القر والهواجر.

٢- فيها صدع سيدنا محمد بدعوته، ودعا إلى ملته، وفيها قبلته المعظمة وقبيلته المفخرة.

٣- إليها تشد الرحال، وفي بقاعها تستجاب الدعوات وتتحقق الآمال، ثم لا يدخلها الطاعون ولا الدجال. ما أساء إليها جبار إلا هلك، وما عظمها فقير إلا ملك. جعلها الله مركزا للأرض، وجعل حجها من أوجب الفرض. إليها المسلمون في كل عام

يحجون، وفي أرجائها يكبرون ويلتون، وبكعبتها يطوفون، ومن مائها المبارك زمزم يتضلعون، وعن الشوق إليها لا ينفكون، فإذا اقتربوا منها احتضنتهم كالأم الحنون فهم هائمون، فمن أركان كعبتها الحجر الأسود، الذي من قبله يهنأ ويسعد، ومنها الركن اليماني، الذي نال عنده الرغائب وتتحقق الأمناني

٤- ما دخلها خائف إلا أمن، وما مات فيها مسلم إلا ضمن، وفي حجونها غاية البشرية، إنها أم المؤمنين السيدة خديجة الكبرى (رضي الله عنها) بها تعطرت شعاب مكة والحجون. عوام أهلها علماء، وعلماءها فقهاء، وأئمتها على الخير أدلاء، وشبابها أتقياء.

المصادر والمراجع

- ١- القرآن الكريم .
- (٢) المصري، شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم، التبيان في تفسير غريب القرآن، تحقيق: د. فتحي أنور الدابولي، ط1، دار الصحابة للتراث بطنطا، القاهرة: ج ١ .
- (3) النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف (ت: 676 هـ-)، تحرير ألفاظ التنبيه، تحقيق: عبد الغني الدقر، ط1، دار القلم دمشق ١٤٠٨ هـ.
- (4) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق: نبيل عبد الرحمن حياوي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت .
- (٥) النووي، يحيى بن شرف، تهذيب الأسماء واللغات، ط1، دار المعرفة، بيروت: ج ٣
- (٦) القرطبي، أبو عبد الله محمد أحمد الأنصاري (ت: ١٧١ هـ)، الجامع لأحكام القرآن، ط ٥ . منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت: ج: ١ .
- (٧) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ط1، دار الفكر، بيروت، ١٩٠٥ هـ: ج ٤ .
- (٨) الزمخشري، محمود بن عمر (ت: ٥٣٨ هـ-)، الفائق في غريب الحديث، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبي الفضل إبراهيم، ط ٢، دار المعرفة، بيروت، ج ١ .
- (٩) البسكري، عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي (ت: ٤٨٧ هـ-)، معجم ما استعجم من والمواضع، تحقيق مصطفى السقا، ط3، عالم الكتب، بيروت: ج ١ .
- (١٠) البيضاوي، عبد الله بن عمر (ت: ١٨٠ هـم)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: عبد القادر عرفات، دار الفكر، بيروت، 1416 هـ - ١٩٩٩ م: ج ٢ .
- (١١) ، القونوي، قاسم بن عبد الله بن أمير علي (ت ٩٧٨ هـ-)، أنيس الفقهاء، تحقيق: د. أحمد عبد الرزاق الكبيسي، ط1، دار الوفاء، جدة، 1406 هـ .

(١٢) البروسوي، إسماعيل حقي، روح البيان، مكتبة أثر، اسطنبول، ١٣٨٩ هـ :- ج . ١

(١٦) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت: 774هـ)، تفسير القرآن العظيم، دار الفكر بيروت، ١٤١٠ هـ . ج 4

(١٧) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، محمد بن يوسف الصالحي، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1410هـ / 1990م، ج ١

(١٨) كتاب غريب القرآن، للأصفهاني، المحقق: مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز، دار نزار مصطفى الباز، الطبعة الأولى، الجزء الأول

(١٩) معجم ألفاظ القرآن، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، 1989. مادة ك ع ب

(٢٠) عرف الطيب، محمد بن محمد العاقولي، تحقيق ودراسة: د. صلاح الدين عباس شكر، مطبوعات مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ط1، 1428هـ/2007م